الباب الثالث

حرب العدوان الثلاثى ١٩٥٦

الفصل الأول : التحول الثورى بقيادة جمال عبد الناصر

الفصل الثانى : الموقف السياسى والعسكرى قبل نشوب الحرب

الفصل الثالث : أحداث حرب العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

التحول الثورى بقيادة جمال عبد الناصر

فى مكتبات العالم عشرات الكتب التى تحدثت عن جمال عبد الناصر، وبين الصفحات الطويلة مئات المقالات التى تناولت ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢، وعبر العالم كله ساهمت عشرات الأقلام فى تقييم ما قدمه عبد الناصر لمصر وللعرب وللعالم.

واليوم وبعد مرور أكثر من ثلاثين عامًا على استشهاد الزعيم، ماذا يمكن أن يقال؟، وما هى قيمة الكلمة المطروحة ؟ فبالتأكيد ليست هى إبراز منجزاته، فالعالم كله يعرفها، وبالقطع ليست هى سيرته الذاتية، فالملايين تعلم تفاصيلها، وفوق ذلك، ليست هى تاريخ الثورة، فهذه مهمة قام ويقوم بها أكثر من مؤرخ. إذن ماذا يبقى ؟ وما هوالمضمون الأساسى الذى يمكن أن نطرحه فى هذه الصفحات ؟

إن الحركة الطبيعية للتاريخ تطرح علينا قضية لها أهميتها وأولويتها وهى أن نضع أمامنا وباستمرار فلسفة هذا الرجل طوال السنوات التى قاد فيها مسيرة النضال المصرى عبر دروب مليئة بالأعداء والمصاعب.

إن دراسة فلسفة عبد الناصر التى عبر عنها خلال الأحداث الكثيرة التى تضمنها الكفاح المصرى لثورة ٢٣ يوليو، ستقودنا حتمًا إلى إدراك أن القضية كانت ويجب أن تكون دائمًا هى الإيمان بهذا الشعب وقدراته، مهما كانت الصعاب، ومهما كانت درجة الصراع.

ولذلك سأتوقف قليلاً أمام سؤال رئيسى، أين تقف فلسفة وأفكار جمال عبد الناصر، وما هى أبعادها، وهل كانت مجرد انفعالات تنتهى بانتهاء الحدث ؟ ولعل أبرز إجابة على هذا التساؤل، هوما قاله الرئيس الراحل أنور السادات فى إحدى

obeikandl.com

كتاباته عن جمال عبد الناصر، وهوالذى عاش معه فكرًا ونضالاً منذ نبتت فى ذهن الرجلين بذور الثورة، فيقول السادات : « إن عبد الناصر ليس بالرجل الذى تلهيه الأحلام عن الواقع، فلقد كان يهدف إلى القيام بثورة جذرية، ولم يكن يهدف إلى حركة عصيان ».

وهذا الذى تحدث عنه الرئيس السادات كان ظاهرة ملازمه لعبد الناصر منذ فجر تاريخه، فلقد كان وهومازال فى ريعان الشباب يفكر فى هدف أساسى، وهوتحرير مصر من الإنجليز، ولم يكن عبد الناصر من نفس النسيج الذى شهدته تلك الأيام، من الشباب الذين كانوا ينشدون الجلاء، فقد كان عبد الناصر نوعًا آخر، فبينما اكتفى الآخرون بترديد الشعارات وقذف قوات الاحتلال بالأحجار، كان جمال يدرك أن الضجيج والعنف لا يكفيان، من هنا عكف عبد الناصر يبحث مع نفسه عن الحل، بحيث أصبح بمرور الزمن وبإرادته المطلقة ذلك الشىء النادر الذى يمكن أن نسميه (الوطن المجهول)، وهكذا، برزت فلسفة عبد الناصر منذ تلك الحقبة، ففى الوقت الذى تصور فيه شباب مصر أن بريطانيا هى العدوالوحيد، كان عبد الناصر يدور مع صورة معقدة، خيوطها ليست هى فقط القوات البريطانية التى تحتل البلاد، ولكنها تتشابك أيضًا مع كثير من الغزاة الذين يطمعون فى أرض مصر عبر سنين قادمة، وتبرز هذه الفلسفة فى بداية حياة عبد الناصر العملية، ويؤكدها الرئيس الراحل السادات عندما ينقل حديثًا دار بينهما فى عام ١٩٣٨ قال فيه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر :

«يجب أن نحارب الاستعمار والنظام الملكى والإقطاع؛ لأننا خصوم الظلم والطغيان والعبودية، فكل وطنى يبغى إقامة دولة ديموقراطية قوية، وسيتم تحقيق هذه الغاية بقوة السلاح إذا لزم الأمر، وإن المهمة عاجلة وملحة؛ لأن البلاد انحدرت إلى الفوضى، إن الحرية هى حقنا الطبيعى والطريق مفتوح أمامنا، إنه طريق الثورة».

هنا نضع أيدينا على أكثر من خط فى فلسفة هذا الزعيم منذ عام ١٩٣٨ هذه الخطوط التى نتحدث عنها فى كلمات بسيطة توضح فلسفته فى عدة اتجاهات.

أولا : إيمانه المطلق بالقضاء ليس على الاستعمار فقط، ولكن على ركائزه أيضًا، المتمثلة فى الملكية، والإقطاع.

ثانيًا: قناعته الشخصية بأن الهدف ليس مجرد القضاء على الاستعمار، ولكن الهدف الأصيل هوإقامة دولة ديموقراطية قوية.

ثالثًا: إدراكه أن الحرية هى دعامة التقدم الوطنى، وأنها ضوء مهم على طريق الثورة.

هذه الأفكار لم تنبت لدى عبد الناصر من فراغ، ولكنها كانت وليدة حصيلة تأمل واسع فى تاريخ مصر، فقوة منطق عبد الناصر كانت تكمن دائمًا فى اهتمامه بالتاريخ، فقد كان يتابع تاريخ أمته بكل ما تعرضت له من فواجع منذ أيام الفراعنة، ومن أعقبهم من بطالمة ورومان وأتراك ومماليك وملوك أسرة محمد على ثم البريطانيين، لقد كانت الظروف فى كل هذه المراحل متشابهة، ما كان يتغير فقط هواسم الطاغية، وهذا ما عبر عنه عبد الناصر عندما تحدث عن عصر المماليك بقوله:

«أصبح الطغيان والظلم والخراب طابعَ الحكم فى مصر على عهدهم الذى عاشت مصر فى مجاهله قرونًا طويلة».

فى تلك الفترة تحول وطننا إلى غابة تحكمها وحوش ضارية، كان المماليك يعتبرونها غنيمة سائغة، وكان الصراع الرهيب بينهم هوعلى نصيب كل منهم فى الغنيمة، وكانت أرواحنا وثرواتنا وأراضينا هى الغنيمة.

وعندما أتى يوم الثالث والعشرين من يوليوعام ١٩٥٢، وانطلق صوت أنور السادات من إذاعة القاهرة يعلن قيام ثورة مصر الكبرى، كانت أول أعمال هذه الثورة، ما عبر عنه عبد الناصر قبل أربعة عشر عامًا من هذه الثورة، القضاء على الملكية والاستعمار والإقطاع؛ لتمضى فلسفة عبد الناصر تستقى مقوماتها من طبيعة الظروف الموضوعة على أرض مصر وأرض العرب وأرض العالم من حولنا ولتتجمع كلها حول بؤرة واحدة، وهى تحقيق الدور الطبيعى لشعب عانى من الظلم طويلاً.

ونجح نهج عبد الناصر عبر طرقات مختلفة، فسقطت الإمبريالية فى أكثر من

مكان، وكسرت مصر حصار السلاح، وتحققت بفضل فلسفة عبد الناصر أحلام القومية العربية والوحدة، وعندما تكالب الأعداء على هذه الوحدة جاء رفيق نضال عبد الناصر، ليؤكد أن فلسفة النضال واحدة، وأن الوحدة أمر قد حتمه التاريخ على الأرض العربية، فكانت دولة الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا دولة الوحدة من القاهرة إلى طرابلس.

إن الناظر عبر تاريخ الثورة المصرية يضع أمامنا عشرات من الأعمال الكبيرة التى انعكست عليها فلسفة عبد الناصر، هذه الأعمال أصبحت ملامح رئيسية فى تاريخ مصر الحديث :

* الثورة الاجتماعية والاقتصادية التى انتهت بانتهاج مصر طريق الاشتراكية العربية النابعة من ظروفنا وطبيعة مجتمعنا وإيماننا المطلق بالقيم الدينية والأخلاقية.

* تحقيق أمل مصر فى بناء السد العالى الذى يعتبر من أكبر السدود فى العالم.

* بناء مجتمع ديموقراطى مبنى على إرادة الجماهير.

* ثم إقامة جيش مصر القوى.

وهنا نحتاج إلى وقفة قصيرة، لن نتطرق فيها إلى التفاصيل، ولكنها وقفة واجبة لنطرح فيها سؤالاً مهمًا : ما هى فلسفة عبد الناصر العسكرية ؟

لاشك أن عبد الناصر كانت تخالجه منذ الصغر فكرة الانتماء إلى السلك العسكرى، وكان عبد الناصر يرى أن هذا هوالموقع الذى يمكن فيه أن يلعب دورًا يساهم به فى القضية الوطنية.

ودخل عبد الناصر إلى معترك الحياة العسكرية، شاهد الجيش المصرى فى فلسطين بطلاً، رغم ما تعرض له من أزمات، وصفقات وعاد الجيش من فلسطين مهزومًا ليكون كما كان قبل الحرب، مجرد قوات استعراض فى خدمة الملك وأتباعه.

شاهد عبد الناصر هذه الصورة، ووقف يتساءل : هل يمكن لمثل هذا الجيش أن يكون درعًا لهذه الأمة ؟ ومن هذا التساؤل بدأت أفكار عبد الناصر تتتابع ؛ لتصنع

فى النهاية فلسفة عسكرية متكاملة، وهذه الفلسفة قامت على أساس واحد هوأنه لابد لمصر من جيش قوى يحمى مكاسبها، ويدافع عنها ضد الطغاة والطامعين، جيش من أبناء هذه الأمة التى صنعت مصيرها بأيديها.

ورفض من يبيعون السلاح هذا المنطق، فكسر عبد الناصر حصار السلاح وأقام لمصر جيشها الحديث فى أصعب الظروف وأشد الأزمات، ولم تكن القوى الاستعمارية لتترك عبد الناصر يقيم مصر الحديثة هكذا؛ ليهدد مصالحها الاستعمارية فى المنطقة، فتكالبت عليه القوى مستخدمة السياسة أحيانًا والقوة العسكرية أحيانًا أخرى والحصار الاقتصادى أحيانًا ثالثة، والدسائس والفتن فى أحيان أخرى، وفى النهاية وبعد مسيرة طويلة من الصراع فى سبيل إقامة مصر الحرة القويةً، استشهد جمال عبد الناصر فى معركته المفضلة، وهى الحفاظ على وحدة الصف العربي والدفاع عن شعب فلسطين، فكانت وفاته بعد أن ودع الملوك والرؤساء العرب عشية مؤتمر القمة العربى الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٧٠ لوقف الصراع القائم بين الأردن والفصائل الفلسطينية.

إن مسيرة جمال عبد الناصر تجسد وتوجز قضيتنا كعرب وكمصريين فى كلمات قليلة، أثبتت السنوات صعوبة تحقيقها فى الوقت الذى أثبتت فيه ضرورة تحقيقها وهى :

«الحرية، الديموقراطية، الوحدة، القوة».

* * *

الفصل الثانى
الموقف السياسى والعسكرى قبل نشوب الحرب

كانت الفترة من توقيع اتفاقية الهدنة الدائمة بين مصر وإسرائيل فى جزيرة رودس باليونان فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، وحتى بداية حرب العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ حافلة بالأحداث السياسية والتحولات الجذرية فى مواقف الأطراف بل إنها حفلت أيضًا بالأحداث العسكرية على خطوط الهدنة وداخل الأراضى الفلسطينية المحتلة .

وكما سنرى فى هذه المقدمة ـ الطويلة بعض الشىء ـ أن تلك الفترة التى تزيد عن سبع سنوات ونصف ، لم تكن فترة سكون وهدوء على الحدود المصرية ـ الإسرائيلية ولم تكن فترة تركيز على الموقف الداخلى أوالوضع السياسى الخارجى لمصر فقط وإنما حفلت بالعديد من المعارك والصراعات والأزمات ، سواء على الصعيد السياسى الخارجى أوالداخلى أوعلى الصعيد العسكرى أوعلى الصعيد الاجتماعى لمصر ، وكان لهذه الفترة تداعياتها الخطيرة والمؤثرة على مسيرة مصر فى عصر ما بعد الملكية حتى يومنا هذا .

ولنبدأ من حيث انتهت حرب فلسطين ١٩٤٨ ، حيث كانت مصر هى أول الدول التى وقعت اتفاقية الهدنة الدائمة مع إسرائيل فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ .

فجريًا على الاستراتيجية الإسرائيلية فى عدم احترام القرارات والمعاهدات الدولية واعتبارها مجرد إطار عام يمكن دائمًا من خلاله تنفيذ الأمر الواقع بالقوة ، واستنادًا إلى ما تتمتع به من حماية الدول الغربية ، وفى ظل اتفاقية الهدنة السارية بين مصر وإسرائيل تقدمت القوات الإسرائيلية إلى قرية أم الرشراش الأردنية ، واستولت عليها فى ١٠ مارس ١٩٤٩ ، ثم حولتها فيما بعد إلى ميناء إيلات .

obeikandl.com

وفى عام ١٩٥٠ قامت إسرائيل بطرد ٣٥٠٠ بدوى من منطقة العوجة المنزوعة السلاح طبقًا لاتفاقية الهدنة مع مصر، وفى سبتمبر من العام نفسه قامت قوة إسرائيلية بإنشاء مستعمرة فى نفس المكان، وعلى تل منخفض يسيطر على الطريق ثم أحكمت إسرائيل قبضتها على العوجة من خلال مناورات سياسية وعسكرية استمرت حتى ١٩٥٤ ، مستغلة الحالة السيئة للجيش المصرى بعد حرب ١٩٤٨، ثم أحداث ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعدم استعداد مصر للدخول فى الصراع العسكرى فى هذه الفترة، وفى ٢٨ أغسطس ١٩٥٣ أغارت قوة إسرائيلية على معسكر للاجئين الفلسطينيين فى منطقة البريج فى قطاع غزة مخلفة وراءها ٢٠ قتيلاً وأكثر من ٦٠ جريحًا معظمهم من النساء والأطفال.

ثم كان اعتزال بن جوريون رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك للحياة السياسية لمدة ١٤ شهرًا، فشهدت المنطقة هدوءًا نسبيًا على خطوط الهدنة، خاصة مع مصر فيما عدا بعض حوادث إطلاق النار بين الدوريات المصرية والإسرائيلية، بينما أغارت القوات الإسرائيلية على قرية قبية الأردنية فى ليلة ١٤/ ١٥ أكتوبر ١٩٥٣ ، وقتلت ستة وستين أردنيًا ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال، وكانت هذه الإغارة هى آخر ما أمر به بن جوريون قبل اعتزاله، وفى المقابل قام البدوبنصب كمين لأوتوبيس إسرائيلى فى النقب يوم ١٧ مارس ١٩٥٤ راح ضحيته تسعة رجال وامرأتين، وكان الرد الإسرائيلى بعد الحادث بأحد عشر يومًا فى شكل هجوم ضد قرية نحالية الأردنية حيث قتل ثمانية رجال وامرأة.

إن أعمال الاستفزاز المستمرة على الحدود المصرية وما قابلها من ردود أفعال هادئة من حكومة الثورة فى مصر ـ التى كانت قد دخلت فى مفاوضات الجلاء مع بريطانيا ـ قد شجعت إسرائيل على المزيد من أعمال جس النبض والجاسوسية، ولكنها قوبلت بمواقف حاسمة، فتم القبض على السفينة الإسرائيلية «بات جاليم» عندما حاولت عبور قناة السويس، وتم إعدام الجواسيس الذين تم القبض عليهم فى مصر، لقد كانت حكومة الثورة تسعى جاهدة إلى إنهاء الاحتلال البريطانى لمنطقة القناة، وفى سبيل ذلك مارس الضباط الذين تجرعوا مرارة الهزيمة فى فلسطين أثناء الحرب قدرًا هائلاً من ضبط النفس إزاء تلك الممارسات الإسرائيلية المستفزة على الحدود.

وعلى الجانب الآخر حاولت إسرائيل جاهدةً أن تفشل مفاوضات الجلاء، فدفعت بعدد من العملاء الذين قاموا بوضع عدد من القنابل الحارقة فى دور السينما البريطانية ومكاتب الاستعلامات الأمريكية فى القاهرة والإسكندرية، بغرض إقناع بريطانيا وأمريكا بعدم استقرار مصر وعدائها للغرب، ولكن حدث أن اشتعلت إحدى تلك القنابل فى أحد العملاء فتم القبض عليه وأرشد عن باقى العملاء الإسرائيليين فتم القبض عليهم فيما عرف فيما بعد بفضيحة " لافون " الذى استقال من وزارة الدفاع الإسرائيلية فى ٢ فبراير ١٩٥٥ .

وعلى صعيد آخر داخل النسيج الاجتماعى والسياسى لمصر كانت حركة الإخوان المسلمين التى تعارض اتفاقية الجلاء، وما اشتملت عليه من تنازلات من أجل الجلاء فى مواجهه مريرة مع حكومة الثورة بعد محاولة الاغتيال الفاشلة لجمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية يوم ٢٦ يوليو١٩٥٤ ، مما أدى إلى إعدام عدد من زعماء الحركة فى إطار حملة واسعة تم خلالها القبض على قادتها وأعضاء جناحها العسكرى السرى .

وعلى الرغم من مقاومة إسرائيل وعدم رضا أمريكا، حاولت بريطانيا إنشاء حلف بغداد وقامت بدعم حاكمها نورى السعيد، بل إنها حاولت أن تدخل مصر فى هذا الحلف إلا أن جمال عبد الناصر رفض ذلك تمامًا، وبذلك تكون الحلف من بريطانيا وتركيا والعراق، وازداد السخط البريطانى على مصر، نتيجة فشلها فى إيقاف الحملة الدعائية المصرية على حلف بغداد، وفشل محاولات نورى السعيد لتزعم الوطن العربى .

وفى أكتوبر ١٩٥٤ رفعت القوى الوطنية فى الجزائر لواء الثورة ضد الحكم الفرنسى وأعلن جمال عبد الناصر دعم مصر للثورة الجزائرية، وفى الحقيقة إنه كان قد أمر بإرسال شحنات من الأسلحة للقوات الوطنية حتى قبل أن ترفع لواء الثورة، ثم تلا ذلك بقبول القادة الجزائريين الوطنيين كلاجئين فى القاهرة، وبالطبع كان لهذا الموقف أثره فى أن أصبحت مصر فى موقف معادٍ لفرنسا التى تحارب الثورة فى الجزائر .

وخلاصة القول إن السنوات التالية لحرب ١٩٤٨ وما تلاها من الهدنة قد أدت إلى تطور وتبلور الموقف الخارجى والداخلى؛ ليصبح كالآتى :

* استمرار العداء بين مصر وإسرائيل رغم دعاوى الرغبة فى السلام التى أطلقتها الحكومة الإسرائيلية أوالقيادة المصرية فى فترات مختلفة ولأسباب مختلفة.

* تعاظم حالة العداء والكراهية بين مصر من جانب وبين بريطانيا وفرنسا من جانب آخر، خاصة بعد الموقف المصرى المناصر لحركات التحرير فى المنطقة خاصة ثورة الجزائر، مما جعل شبح انهيار الهيمنة الاستعمارية للدولتين العظميين يتراءى أمام أعين قادتهما، مؤكداً قرب النهاية التى بدأت بشائرها أثناء الحرب العالمية الثانية، لولا التدخل الأمريكى فى أوروبا، والتهور الزائد للقيادة الألمانية فى التورط فى الجبهة الروسية.

* رغبة حكومة الثورة بقيادة جمال عبد الناصر فى الاتجاه إلى البناء الداخلى وإصلاح الموقف الاقتصادى السيئ فى مصر مع المضى بمعدل بطىء بعض الشىء فى إعادة بناء الجيش مستغلة الهدوء النسبى على خطوط الهدنة، خاصة بعد موقفها من جماعة الإخوان المسلمين بعد حادث ميدان المنشية الشهير، ومن المعروف أن هذه الجماعة كانت تحظى بتأييد شعبى كبير؛ لكونها المناضل الأول للاحتلال البريطانى والملك، ولموقفها المساند للثورة فى بدايتها.

الظروف السياسية التى أدت إلى حرب العدوان الثلاثى على مصر:

من الشائع أن تأميم قناة السويس غداة رفض البنك الدولى تمويل مشروع السد العالى الذى كانت حكومة الثورة تبنى عليه آمالاً كبيرة فى النهضة الاقتصادية لمصر كان هوالمحرك الأساسى للحرب، ولكن الحقيقة أن الأسباب قد تراكمت قبل ذلك بكثير، ففى يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ قامت فصيلتان من جنود المظلات الإسرائيليين بشن غارة ليلية على معسكر مصرى فى قطاع غزة، ونصبت الكمائن للتعزيزات التى دفعت لنجدة المعسكر، ونجحت القوة الإسرائيلية التى دفعت بتخطيط من بن جوريون ـ الذى كان قد عاد من العزلة السياسية التى اختارها ـ نجحت القوة فى إحداث خسائر جسيمة بالمعسكر المصرى، وتركت خلفها ٣٧ فرداً بين قتيل وجريح كما دمرت عربة كانت تحمل جنوداً مصريين قادمين من دير البلح لنجدة المعسكر

المصرى، وقتلت ٢٢ جنديًا، وجرحت ١١ آخرين. وعادت القوة المعتدية عبر خطوط الهدنة تحمل قتلاها الذين بلغوا ثمانية وجرحاها الذين بلغوا ثلاثة عشر جريحًا.

لقد كانت الإغارة الإسرائيلية على غزة نقطة تحول فى توجهات القيادة المصرية وبالتالى فى ردود أفعال إسرائيل والدول الغربية وسياساتها التالية، وأصبح جمال عبد الناصر فى مأزق حرج بعد هذه الغارة، وأصبح من المستحيل أن يقنع زملاءه فى مجلس قيادة الثورة بأى تأجيل؛ لتطوير الجيش المصرى وتقويته؛ لإتاحة الفرصة للبناء الاقتصادى والاجتماعى الذى كان ينشده، خاصة أن بناء جيش وطنى قوى هوأحد مبادئ الثورة الستة التى قامت من أجلها، وأن النوايا العدوانية لإسرائيل أصبحت واضحة للعيان، وأصبح الاحتمال قائمًا فى قيام إسرائيل بهجوم شامل دون استعداد الجيش المصرى.

وفى رد فعل سريع أمرت القيادة فى مصر قواتها على الحدود بسرعة الرد بالنيران فى المواجهات التى تتم بينهما وبين الدوريات الإسرائيلية، وكان هذا القرار ضروريًا للحفاظ على الروح المعنوية للقوات بعد حادثة غزة، ولكنها لم تسع إلى هجوم انتقامى من أى مستوى حتى لا تعطى إسرائيل الفرصة للقيام بهجوم شامل ضد مصر، وهوما وضح فى تصريحات قادة إسرائيل، وما كتب على صفحات الصحف عن لسانهم، وبدلاً من ذلك قرر جمال عبد الناصر إحياء جماعات الفدائيين وتقويتها عددًا وتسليحًا، واستخدامها للرد على الغارات الإسرائيلية بدلاً من القوات النظامية غير المستعدة بعد.

ثم بدأت القيادة المصرية فى عرض مطالب الأسلحة على الولايات المتحدة بشكل أكثر جدية وتحديدًا من المطالب العامة السابقة التى قوبلت بالرفض، بناءً على الضغط البريطانى على أمريكا، وكانت المطالب مقبولة ويتضح أن الغرض منها هوتقوية القدرات الدفاعية للجيش المصرى، ووافق الأمريكيون فى البداية، ثم عادوا ووضعوا الشروط القاسية للدفع، والتى لم يكن فى طاقة الخزينة المصرية فى هذا الوقت الوفاء بها، وفى الوقت نفسه بدأت تتكشف صفقات الأسلحة الفرنسية لإسرائيل، وإزاء هذا الوضع لم يكن أمام القيادة المصرية سوى التوجه إلى الاتحاد السوفييتى، وفى ١٨ مايو ١٩٥٥ طلب عبد الناصر من السفير السوفييتى الإجابة

على طلب الإمداد بالأسلحة، وجاء الرد سريعًا، ففى يوم ٢١ مايو١٩٥٥ أجاب السفير السوفييتى فى القاهرة أن القادة فى موسكوقد أعربواعن استعدادهم لإمداد مصر بالسلاح.

واستمرت القيادة المصرية فى محاولة شراء السلاح من أمريكا لمدة شهرين بعد حصولها على موافقة السوفييت، وكان سبب ذلك أن السلاح الغربى كان هوالأساس فى تسليح الجيش المصرى، ولم تكن مصر على دراية بالأسلحة الشرقية حتى ذلك الوقت، وهوأمر يضع القوات فى ظروف حرجة أثناء المرحلة الانتقالية من التسليح الغربى، وما يتبعه من عقائد قتالية إلى التسليح الشرقى، وما يتبعه من عقائد قتالية مختلفة، هذا بالإضافة إلى محاولة عبد الناصر عدم إثارة الغرب خاصة أمريكا مع بدايات الحرب الباردة والمحاولات المستمرة للاتحاد السوفييتى؛ للحصول على نصيب من السيطرة على المنطقة فى إطار السباق بينه وبين أمريكا على اجتذاب الدول إلى كلا المعسكرين.

وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ أعلن رسميّا عن اتفاق شراء السلاح بين مصر وتشيكوسلوفاكيا التى رشحتها روسيا؛ لتنفيذ الإمداد بالسلاح لأسباب سياسية وجاء الرد الإسرائيلى أثناء مفاوضات التسليح بين مصر وروسيا فى شكل زيادة وتحسين لمستوى صفقات التسليح من فرنسا، ومع ذلك حاولت مصر الإبقاء على الهدوء النسبى على خطوط الهدنة.

وفى ٢٢ أغسطس اقتحمت دورية إسرائيلية موقعًا مصريًا فى قطاع غزة واحتلته وكان الرد المصرى هوإيقاف المفاوضات بشأن الحدود مع إسرائيل، وإطلاق يد الفدائيين داخل الأرض المحتلة، وفى غضون أسبوع كانت الحصيلة خمسة قتلى عسكريين إسرائيليين وعشرة من المدنيين، وإصابة ٩ بجراح، بل إنها وصلت فى يومى ٢٩ و٣٠ أغسطس إلى ذروتها، حيث توغلت مجموعة فدائية مصرية لمسافة ٢٧ كم داخل إسرائيل، وقتلت سبعة إسرائيليين، ونسفت هوائى إرسال أحد محطات اللاسلكى، وبالطبع انتقمت إسرائيل بالإغارة ليلاً على نقطة البوليس المصرية بمنطقة خان يونس، ونسفت الحصن الذى كانوا يقيمون فيه مخلفين وراءهم

٣٩ قتيلاً من الجنود وأفراد البوليس والحرس الفلسطينى، وفى الصباح أسقطت الطائرات الإسرائيلية طائرتين مصريتين شمال غزة.

وعلى جانب آخر، وفى إطار الرد على الحملة الدعائية المصرية ضد فرنسا فى أعقاب المذبحة التى قامت بها ضد المجاهدين فى المغرب والجزائر قامت فرنسا بإيقاف تسليم ١٠٠ دبابة مزودة بمدفع ٧٥ مم إلى مصر، وضمتها إلى شحنة مماثلة كانت فى طريقها إلى إسرائيل.

إن صفقة الأسلحة الروسية الصنع التشيكية الشكل كانت البداية لسباق التسلح بين مصر وإسرائيل، والذى قررت إسرائيل خلاله أن يكون لها التفوق العسكرى على العرب إلى الأبد من خلال شراء الأسلحة المتطورة، وتطوير قدرات الصناعة الحربية فى إسرائيل.

وبالطبع استمرت إسرائيل فى سرعة استغلال الموقف قبل وصول الأسلحة الجديدة، فاستولت على بعض المرتفعات فى منطقة العوجة المسيطرة على مدخل الطريق الأوسط إلى سيناء فى ظل اتفاقية الهدنة التى جعلت هذه المنطقة منزوعة السلاح، واستمرت إسرائيل فى تعدياتها إلى أن استولت عليها كاملة، ورفضت الجلاء عنها.

وخلاصة الحديث عن التسليح والموقف على الحدود أن الموقف كان مليئًا بالأحداث الدموية والتسابق إلى شراء المزيد من الأسلحة، ومع استمرار مصر على سياستها المناهضة للاستعمار والمؤيدة لحركات التحرير، وبعد صفقة الأسلحة الروسية بدأ الشعور بضرورة إزاحه جمال عبد الناصر عن الساحة وعودة السيطرة الغربية على مصر ينمو، وفى الوقت نفسه واصل جمال العمل من أجل المستقبل الاقتصادى والاجتماعى لمصر من خلال مشروع السد العالى، ووقف البنك الدولى وأمريكا وبريطانيا وفرنسا فى وجه مصر، وانتهت المفاوضات بسحب كلّ من أمريكا وبريطانيا وفرنسا لعروضها؛ للإسهام فى تمويل مشروع السد العالى، وبالتالى رفض البنك الدولى تمويل المشروع، فكان الرد التاريخى لمصر على لسان جمال عبد الناصر الذى أعلن تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو١٩٥٦ ؛ لاستخدام إيراداتها فى تمويل مشروع بناء السد العالى.

وتلاحقت الأحداث بعد ذلك، وتحولت الأفكار واللقاءات بين القادة إلى خطة منسقة لغزومصر بواسطة بريطانيا وفرنسا على أن تقوم إسرائيل فى بداية الغزوبإثارة الاشتباك العسكرى فى سيناء وتهديد الملاحة فى قناة السويس، مما يصلح أن تتخذه الدولتان العظميان كذريعة للتدخل واحتلال منطقة القناة؛ لتأمين الملاحة فى قناة السويس، وخلال الأشهر التالية توالت اللقاءات والتنسيق والاستعداد والحشد للأساطيل البحرية وأسراب الطائرات الحربية والقوات البرية استعداداً للحملة التى ستستعيد بها إنجلترا وفرنسا هيبتهما المفقودتين فى المنطقة، وتحقق بها إسرائيل نصف حلمها فى الوصول إلى النيل.

الموقف العسكرى:

على الحدود بين مصر وإسرائيل تصاعدت الاشتباكات والأعمال الفدائية والغارات الانتقامية، ووصلت فى بعض الأحيان إلى حد الاشتباك بالمدفعية والدبابات، ثم كان إنشاء القيادة المشتركة للقوات المسلحة المصرية والسورية، والتى انضمت إليها الأردن فى أكتوبر ١٩٥٦ ، وهوما اعتبرته إسرائيل تطوراً خطيراً يعكس ملامح الاستعداد للهجوم عليها.

وعلى الجانب البريطانى ـ الفرنسى فقد أعلنت بريطانيا التعبئة فى الأسبوع الأول من أغسطس ١٩٥٦ بحجم وصل ١٢٥ ألف جندى من قوات الاحتياط، وقامت فرنسا بالتعبئة الجزئية، واستدعت ٥٠ ألف جندى من قوات الاحتياط.

وتم حشد القوات البريطانية ـ الفرنسية فى القواعد الجوية بقبرص ومالطة وإسرائيل أيضًا، كما قامت فرنسا بإمداد إسرائيل بالطائرات والطيارين مما أتاح لها تعبئة قواتها سراً، اعتباراً من ٢٥ أكتوبر ١٩٥٦ .

أما على الجانب المصرى الذى ظل يراقب ويحلل تحركات الأساطيل والأسراب فقد قررت القيادة المصرية أن التهديد الأكبر لمصر يتمثل فى العدوان المرتقب البريطانى ـ الفرنسى لذلك أمرت بتخفيض القوات من سيناء، وتركيز الجهود للدفاع عن منطقة القناة والدلتا مع تعزيزها بالمقاومة الشعبية، وأولت اهتماما خاصًا بالقوات الجوية، وقامت بتوزيعها على أكبر عدد ممكن من القواعد والمطارات الجوية.

obeikandl.com

كان الهدف العام للحملة البريطانية ـ الفرنسية ـ الإسرائيلية هوالقضاء على نظام الحكم فى مصر، وتحطيم الإرادة المصرية، وإخماد الحركات التحررية فى الوطن العربى، واستعادة السيطرة السياسية والاقتصادية عليه، ولتحقيق هذا الهدف خططت الحملة على أساس تنفيذ عمليتين هجوميتين كالآتى :

الخطة الهجومية الثانوية، وتقوم بتنفيذها إسرائيل وتهدف إلى الآتى :

* شن هجوم عسكرى فى سيناء؛ لخلق تهديد عسكرى للقناة باحتلال أهداف مجاورة لها، ومشرفة عليها.

* احتلال مضيق ثيران المسيطر على خليج العقبة والذى يهدد الملاحة إلى ميناء إيلات.

* إحداث الارتباك فى تشكيل القوات المصرية فى سيناء، وسحبها إلى عمق سيناء؛ لإضعاف الموقف الدفاعى لمصر فى منطقة القناة.

أما الخطة الهجومية الرئيسية التى تقوم بتنفيذها بريطانيا وفرنسا، فكانت تهدف إلى الآتى :

* تدمير الجيش المصرى فى سيناء والاستيلاء على منطقة القناة والقاهرة حسب الموقف

وعلى الجانب المصرى، كانت الأهداف الاستراتيجية المصرية فى بداية الحرب موجهة ضد إسرائيل، وتتلخص فى تدمير القوات الإسرائيلية فى سيناء، والقيام بأعمال تعرضيه فى اتجاه فلسطين، وقد تطورت الأهداف بعد ظهور التواطؤ الثلاثى لتكون كما يلى :

* سحب القوات المصرية سليمة من سيناء، والدفاع عن قناة السويس، ومنع العدومن الاستيلاء على مدن القناة، أوالتقدم إلى القاهرة.

* الدفاع عن الدلتا بقوات جيش التحرير الوطنى.

* الدفاع عن القاهرة.

obeikandl.com

الفصل الثالث

أحداث حرب العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦

أهداف العدوان الثلاثى على مصر وخطة الغزو:

تلاقت أهداف الدولتين العظميين إنجلترا وفرنسا مع أهداف إسرائيل فى معاداتها لنظام الحكم فى مصر، وخاصة جمال عبد الناصر، ويذهب بعض المحليين إلى الاعتقاد أن نشوب حرب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، كان وراءه الكره الشخصى لجمال عبد الناصر من كلّ من أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا وجى موليه رئيس وزراء فرنسا وبن جوريون رئيس وزراء إسرائيل، وإن كان هذا الرأى مبالغًا فيه، إلا أنه لا يمكن نفى أن شعور الكره والرغبة فى إسقاط النظام فى مصر وإقصاء جمال عبد الناصر عن السلطة كان حقيقة لا تقبل الشك.

وفى الوقت الذى كان الهدف البريطانى الفرنسى هوالقضاء على نظام الحكم فى مصر وإخضاعها مرة أخرى للسيطرة السياسية والاقتصادية للغرب، وبالتالى إخماد حركات التحرر فى الوطن العربى التى اتخذت من مصر مثالا يعتدى به وعونا دائما بالسلاح والرجال والمال والدعم السياسى والإعلامى، فقد كان لإسرائيل هدف آخر علاوة على ما كلفت به لخلق تهديد عسكرى على قناة السويس من خلال الهجوم على سيناء وجذب الجيش المصرى إليها بعيداً من القناة والدلتا والقاهرة، لقد هدفت إسرائيل من اشتراكها فى حرب العدوان الثلاثى على مصر إلى تحقيق السيطرة على مضيق ثيران المتحكم فى الطريق البحرى إلى إيلات عبر خليج العقبة من ناحية، ومن ناحية أخرى كان اشتراكها فى تدمير الجيش المصرى فى سيناء يحقق لها جزءاً كبيراً من حلمها بالوصول إلى قناة السويس، واقترابها من النيل الأمر الذى سيحقق لها السيطرة المعنوية والعسكرية على كل المنطقة.

obeikandl.com

خطـة الغـزو(الخريطة رقم ٨) :

وضعت خطة الغزوعلى أساس تنفيذ عمليتين هجوميتين متتاليتين، العملية الهجومية الأولى، وتمثل المجهود الثانوى للحرب تقوم بها إسرائيل، والعملية الهجومية الثانية، وتمثل المجهود الرئيسى للحرب تقوم بها بريطانيا وفرنسا. وتفصيلاً يمكن تلخيص خطط الهجوم كالآتى :

الهجوم الثانوى : تقوم به القوات الإسرائيلية بالهجوم على سيناء على ثلاثة محاور رئيسية :

* **المحور الأول :** محور متلا، ويبدأ الهجوم عليه بإسقاط كتيبة مظلات على المدخل الشرقى للممر، ثم يلحق بها باقى لواء المظلات المتقدم من اتجاه النقب والكونتلا، حيث يستولى على التمد ثم نخل، ثم تتقدم القوات الإسرائيلية عبر ممر متلا تحت ستر كتيبة المظلات التى تم إسقاطها بهدف الوصول إلى الهيئات المشرفة على القناة أمام منطقة السويس، وإلى مناطق الطور ثم شرم الشيخ.

* **المحور الثانى :** محور القصيمة ـ أبوعجيلة حيث تهاجم القوات الإسرائيلية الميكانيكية والمدرعة؛ للاستيلاء على منطقة القصيمة ثم تقاطع «أبوعجيلة» بالهجوم من الجنوب والشرق ثم تتابع التقدم فى اتجاه الإسماعيلية.

* **المحور الثالث :** وهومحور رفح ـ العريش حيث تهاجم القوات الإسرائيلية وتستولى على مدينة رفح، وتتابع التقدم للاستيلاء على العريش، والتعاون مع قوات محور «أبوعجيلة» بالهجوم من الشمال للجنوب، ثم تتابع التقدم إلى القناة.

الهجوم الرئيسى :

وهوالذى تنفذه القوات البريطانية والفرنسية بالغزوالبحرى لمنطقة بورسعيد تحت مبرر تأمين الملاحة فى قناة السويس، وباستغلال الأساطيل البحرية وقوات المظلات والقوات الجوية كالآتى :

* بنجاح إسرائيل فى الهجوم على سيناء وتهديد الملاحة فى قناة السويس، وبعد

obeikandl.com

إنذار لمصر وإسرائيل بسحب قواتهما بعيداً عن القناة وإيقاف القتال، وهوما سيرفضه الطرفان كما هومتوقع، تقوم القوات الجوية البريطانية والفرنسية بالإغارة على المطارات والقواعد الجوية المصرية لتدمير الطائرات والمطارات كما تغير على بعض الأهداف الاقتصادية لزعزعة نظام الحكم.

* تبدأ الأساطيل البحرية بقصف بورسعيد، ثم يتم إسقاط عدة ألويه من قوات المظلات للاستيلاء على المدينة أوتأمين رأس شاطئ.

* يتم الإنزال البحرى على شواطئ بور سعيد، ويتم استكمال الاستيلاء على المدينة والتقدم جنوباً؛ لاستكمال الاستيلاء على منطقة القناة.

* التعاون مع القوات الإسرائيلية ومعاونتها فى تدمير الجيش المصرى فى مسرح شبه جزيرة سيناء.

* التقدم فى اتجاه القاهرة طبقًا للموقف.

* تقديم المعاونة الجوية لإسرائيل فى سيناء بواسطة الطيران الفرنسى.

ولتحقيق هذه الخطط، فقد حشدت قوات العدوان الثلاثى من القوات ما يفوق حجم وتسليح القوات المصرية بمراحل، فحققت تفوقا فى القوات الجوية وصل فى المقاتلات إلى أربعة أضعاف، وفى المقاتلات القاذفة إلى ٢٥ ضعفًا، وفى القاذفات إلى أكثر من ١١ ضعفًا ما لدى القوات المصرية، أما فى القوات البحرية، فقد حققت بريطانيا وفرنسا تفوقًا ساحقًا، ففى المدمرات وصل التفوق إلى ١٠ أضعاف ما لدى القوات المصرية التى لم تكن تمتلك من البوارج والطرادات والغواصات أى قطعة ناهيك عن حاملات الطائرات.

وفى القوات البرية حققت القوات المهاجمة تفوقًا وصل إلى أكثر من ٣ أضعاف القوات المصرية فى المشاة والدبابات والمدفعية.

الأهداف المصرية والخطط الدفاعية:

كان الهدف الأساسى لمصر فى بداية الحرب هوصد القوات الإسرائيلية المهاجمة وتدميرها والتحول طبقًا للموقف إلى تنفيذ أعمال تعرضية فى اتجاه فلسطين، وتغير هذا الهدف مع اكتشاف المؤامرة بعد صدور الإنذار البريطانى ـ الفرنسى وأصبح الهدف هو:

* سحب الجيش المصرى من سيناء سليمًا، وتركيز الدفاع عن منطقة القناة.

* الدفاع عن الدلتا بجيش الدفاع الوطنى.

* تنظيم الدفاع عن القاهرة.

* إدارة القتال التعطيلى فى سيناء؛ لكسب الوقت لإعادة تنظيم الدفاع عن منطقة القناة من خلال مناطق دفاعية قوية ذات اكتفاء ذاتى وإدارى لإدارة الدفاع لأطول مدة ممكنة مع المحافظة على حرية التحرك بين المواقع الدفاعية.

* الدفاع عن الموانئ الرئيسية والقواعد الجوية والمطارات؛ لإتاحة الحرية لاستخدام القوات البحرية والجوية؛ لتنفيذ معاونة القوات فى سيناء، والاستعداد لتنفيذ أعمال تعرضيه ضد القوات الإسرائيلية فى سيناء طبقًا للموقف.

* الدفاع عن مدخل خليج العقبة.

لقد دفعت القوات المصرية دفعًا لدخول هذه الحرب غير المتكافئة كمًا وكيفًا من كافة النواحى، ومع ذلك فقد كانت روح ثورة ٢٣ يوليووحماس جمال عبد الناصر فى رفض الاستسلام والإصرار على القتال دفاعًا عن مصر ومكاسب الثورة، هذا الحماس الذى انتقل عبر المؤسسات الدينية والاجتماعية والعسكرية إلى الشعب والجيش، كان كل ذلك سببًا فى تقليل حجم الهزيمة العسكرية وتحويلها إلى نصر سياسى تاريخى من خلال عدة معارك بطولية اشترك فيها الجيش والشعب فى تلاحم ناد، ر هوأحد الخصائص التاريخية للشعب المصرى العريق.

سير عمليات حرب ١٩٥٦ :

لا شك أن تخطيط الغزوالبريطانى الفرنسى الإسرائيلى لمصر كان خطة عسكرية متكاملة ومنسقة جيدًا؛ لتنفيذ أهداف محددة لكل طرف فى حدود الهدف العام للغزو، ولا شك أيضًا أن القوة العسكرية الشاملة التى دفعت بها دول الغزوكانت على أعلى مستوى عددًا وعدةً وخبرةً، فإنجلترا وفرنسا اللتان انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصارهما قبل أحد عشر عامًا من الغزوقد أعادتا بناء وتحديث جيوشهما وأساطيلهما، وأصبحت لديهما خبرة العمليات الطويلة المدى المتعددة الأطراف المتسعة الأرجاء التى تستخدم فيها كافة الأسلحة والقوات.

أما إسرائيل التى خرجت منتصرة على الجيوش العربية فى حرب فلسطين قبل ثمانى سنوات من الغزو، فكانت قد طورت من تسليحها وتنظيماتها العسكرية وتطورت لديها خبرة القتال ضد الجيوش النظامية العربية فى مختلف الجبهات خاصة الجبهة المصرية.

وفى الوقت نفسه كان الجيش المصرى فى بداية إعادة تسليحه بالأسلحة الشرقية والتدريب عليها، وهوما كان قد بدأ منذ عام واحد قبل الحرب، ولم يكن الجيش المصرى قد أتم التحول من عقائد القتال الغربية إلى عقائد القتال الشرقية.

والخلاصة أن قادة الدول المعتدية قد ظنوا أن الجيش المصرى كان جاهزًا للذبح بواسطة قوات الغزووخطتها الشاملة وعدتها القوية الحديثة واستخدامها لأحدث أساليب القتال المستنبطة والمجربة فى مسارح الحرب العالمية الثانية.

إلا أن الحملة الاستعمارية على مصر عام ١٩٥٦ لم تضع فى حساباتها الروح الوطنية والقتالية للشعب والجندى المصرى خاصة بعد ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢، وأغفلت أن الضباط والجنود المصريين الذين اشتركوا فى حرب ١٩٤٨، وذاقوا مرارة الحصار فى الفالوجا، قد عادوا منها ومرارة الهزيمة تملأ حلوقهم، تلك الهزيمة التى رسمت خطوطها فى لندن وباريس وواشنطن، وأعد لنجاحها فى القاهرة وعمان وبغداد، ونفذت على أرض فلسطين، كما أوردنا سابقًا.

ومن ثم لقد تحول الغزوالبريطانى ـ الفرنسى ـ الإسرائيلى لمصر إلى مجموعة من المعارك المنفصلة فى صدر الحيطان والقصيمة وأبوعجيلة ورفح وبور سعيد، ولم ترقَ الحرب أبدًا إلى شكل الغزوالذى خططت له هذه الدول، وأعدت وحشدت له الأساطيل البحرية والأسراب الجوية والفرق والألوية المدرعة والميكانيكية والمظلية.

ثم كانت النهاية المهينة لهذا الغزوبانسحاب القوات الغازية من بور سعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦، ومن سيناء فى مارس ١٩٥٧، وأصبح المكسب الوحيد لهذه الحرب من نصيب إسرائيل، حيث تم وضع قوات دولية فى شرم الشيخ، وأصبح مضيق ثيران مفتوحًا للسفن الإسرائيلية إلى ميناء إيلات، وظلت القناة محرمة عليها، نظرًا لاستمرار حالة الحرب مع مصر أما إنجلترا وفرنسا فقد سطرت تلك الحرب نهاية عصرهما كدولتين استعماريتين، وانتهى الأمر باستقالة رئيسى الوزراء فى كلتا الدولتين.

تطور الخطة الدفاعية المصرية عن سيناء :

الخطة الدفاعية قبل التوتر والحشد :

ارتكزت الخطة الدفاعية المصرية قبل وضوح نية الغزوالبريطانى الفرنسى على أساس تركيز الدفاع على الاتجاه الشمالى (رفح ـ العريش) والاتجاه الأوسط (العوجة ـ الإسماعيلية) بالقوات المناسبة مع تخصيص الاحتياطيات القوية ، وتوفير الاكتفاء الذاتى الإدارى للقوات ؛ لتمكينها من إدارة معارك دفاعية ناجحة .

أما الاتجاه الجنوبى فقد خطط الدفاع عنه بقوات محدودة ؛ لتنفيذ أعمال المراقبة والإنذار والقتال التعطيلى ، واستغلال طبيعة الأرض فى منع القوات المهاجمة من التقدم عبر ممر متلا ، أوفى اتجاه الحسنة بأقل حجم من القوات المشاة والدبابات وبالاعتماد على عناصر حرس الحدود والعناصر الخفيفة .

الخطة الدفاعية بعد كشف نوايا الغزو:

بعد اكتشاف نية القوات البريطانية ـ الفرنسية لغزومصر من اتجاه ساحل البحر المتوسط تم تخفيف القوات من سيناء ، وتركيز الدفاع عن القناة وتوفير احتياطيات قوية للدفاع عن القاهرة .

أما فى سيناء فقد تم تركيز الدفاع عن الاتجاه الأوسط مع تنظيم نطاق أمن قوى وتم تنظيم الدفاع عن الاتجاه الشمالى بأقل القوات مع الاستفادة من حقل الألغام التكتيكى ، وعلى الاتجاه الجنوبى استمر الدفاع فى الاعتماد على المراقبة والإنذار وإدارة أعمال القتال التعطيلى مع التمسك بممر متلا لأطول فترة ممكنة .

أوضاع القوات المصرية فى سيناء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ :

الفرقة الثالثة المشاة تدافع عن الاتجاهين الشمالى والأوسط أى من رفح إلى القصيمة وبعمق حتى العريش ـ الحسنة ، وهى كما نرى شريحة كبيرة على هذه القوات ، وقد اتخذت الفرقة أوضاعها الدفاعية كالآتى :

* مجموعة اللواء السادس المشاة فى منطقة القصيمة و«أبوعجيلة» .

obeikandl.com

* مجموعة اللواء الخامس المشاة فى منطقة رفح .

* مجموعة اللواء الرابع المشاة، وتتمركز فى منطقة العريش مع تخصيص قوة للدفاع عن مدينة العريش .

وكلف الألاى (الفوج) الثانى سيارات حدود بتأمين منطقة الكونتلا، وتعطيل العدوأثناء تقدمه غربًا .

الخطة الهجومية الإسرائيلية العامة :

يمكن تقسيم الخطة الهجومية الإسرائيلية إلى قسمين رئيسيين؛ طبقًا لهدف الهجوم :

* الخطة الهجومية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمبرر الغزوالإنجليزى الفرنسى، وتهدف إلى توفير ذريعة التدخل لبريطانيا وفرنسا؛ لتأمين قناة السويس، وتتلخص هذه الخطة فى سرعة الوصول إلى قناة السويس عن طريق ممر متلا، وبواسطة اللواء ٢٠٢ مظلات استغلالاً لضعف تركيز الدفاع المصرى عن هذا الاتجاه .

* الخطة الهجومية التى ترتبط بالهدف الإسرائيلى، والتى تسعى إلى تدمير الجيش المصرى فى سيناء، وتتلخص فى توجيه ضربة قوية تبدأ من القصيمة فى اتجاه «أبوعجيلة» شمالاً للاستيلاء عليها، وحصر القوات المصرية فى اتجاه البحر، ثم تفتيتها بالهجوم من اتجاه رفح فى مرحلة تالية، واستكمال تدميرها بالتعاون مع القوات البحرية والجوية، وبالتالى الاستيلاء على مدينة العريش، وفتح الطريق للتقدم إلى القناة .

* استغلال نجاح القوات فى الوصول إلى شرم الشيخ بجنوب سيناء واحتلالها وفتح مضيق ثيران .

يوميات الحرب :

يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ :

* فى تمام الساعة الخامسة مساء يوم ٢٩ أكتوبر تم إسقاط كتيبة مظلات إسرائيلية فى منطقة صدر الحيطان على المدخل الشرقى لممر متلا (بطريق الخطأ)، حيث كان

المفروض أن يتم إسقاطها على المخرج الغربى للممر لسرعة الوصول إلى القناة وتهديداً الملاحة بها كما هى الخطة، إلا أن إسقاط الكتيبة شرق ممر متلا وبعيداً عن المدخل الشرقى للممر بالإضافة إلى سوء الأحوال الجوية فى هذا الوقت قد أدى إلى تشتتها فى الصحراء، مما أعطى الفرصة للقوات المصرية لدفع كتيبة مشاة عبرت القناة وتمكنت من الوصول إلى المخرج الشرقى للممر والدفاع عنه ببسالة، ولم تتمكن القوات الإسرائيلية من اقتحام الممر حتى نهاية اليوم التالى ٣٠ أكتوبر.

* وحاولت قيادة القوات المسلحة إقناع جمال عبد الناصر بعبور باقى اللواء خلال الليل للانضمام إلى القوات المدافعة عن ممر متلا، إلا أنه رفض ذلك؛ لما كان سيترتب عليه من إيقاف الملاحة فى القناة، وبالتالى إعطاء الذريعة لبريطانيا وفرنسا للتدخل العسكرى فى منطقة القناة، ولوكان عبد الناصر على يقين من نية الغزولعرف أن التدخل آت لا محالة.

يوم ٣٠ أكتوبر :

* خلال ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر عبر اللواء ٢٠٢ مظلات الإسرائيلى الحدود المصرية، وتقدم فى اتجاه ممر متلا عبر مناطق التمد ونخل، حيث واجهته عناصر الألاى الثانى سيارات حدود، وأحدثت به بعض الخسائر، وعطلته عن اللحاق بالكتيبة فى الوقت المناسب التى تم إسقاطها مما أدى إلى سوء حالة هذه الكتيبة، وتمكنت القوات المصرية من تنظيم الدفاع عن ممر متلا بالكتيبة المتقدمة من اللواء، الذى تأخر عبوره إلى الصباح، حيث أصبح لقمة سائغة للطيران الفرنسى الذى كان يعمل تحت العلم الإسرائيلى، وتوالت الهجمات الجوية على اللواء فى المنطقة المفتوحة غرب الممر، فلقى خسائر كبيرة أثرت على كفاءته القتالية.

* وفى مساء هذا اليوم نجح اللواء ٢٠٢ مظلات الإسرائيلى فى الوصول إلى ممر متلا ومهاجمته بعد تزايد الخسائر، ونقص الذخيرة فى القوات المدافعة عن الممر، وبعد قتال عنيف نجح اللواء فى اختراق الدفاعات والتقدم عبر الممر مع نهاية يوم ٣٠ أكتوبر.

*** وفى تمام الساعة السادسة مساء يوم ٣٠ أكتوبر وجهت بريطانيا وفرنسا إنذاراً حاسمًا لمصر وإسرائيل يتضمن ما يلى :**

* الوقف الفورى لكافة الأعمال الحربية البرية والجوية والبحرية.

* انسحاب القوات المصرية إلى الضفة الغربية لقناة السويس والقوات الإسرائيلية (التى لم تكن قد وصلت بعد إلى القناة) إلى مسافة ١٠ أميال شرق القناة.

* تقبل مصر الاحتلال المؤقت لبورسعيد والإسماعيلية والسويس من جانب القوات البريطانية ـ الفرنسية المشتركة، حتى يمكن الفصل بين القوات المتحاربة، وحماية حرية الملاحة لجميع السفن فى قناة السويس.

* منحت الدولتان مهله ١٢ ساعة فقط لقبول شروطهما، وفى حالة عدم استجابة الحكومتين المصرية والإسرائيلية لهذه المطالب قبل انتهاء المهلة، فسيكون للقوات المشتركة البريطانية ـ الفرنسية الحق فى القيام بأى أعمال ضرورية؛ لتنفيذ هذه المطالب.

لقد كانت العمليات العسكرية حتى لحظة صدور الإنذار البريطانى ـ الفرنسى تدور فى إطار المعركة بين لواء مظلى إسرائيلى تسانده طائرات فرنسية تحت العلم الإسرائيلى، وبين القوات المصرية المدافعة عن المحور الجنوبى لسيناء، مع ثبات الدفاع على المحور الشمالى، وحذر القيادة المصرية من تدخل الحشود البريطانية الفرنسية.

ولكن الإنذار البريطانى الفرنسى لمصر، وما اشتمل عليه من لهجة استفزازية فجة قد حول الأمر كله إلى معركة مصير، وعاد الجميع بالذاكرة إلى أيام الاحتلال الإنجليزى لمصر، وفضائح القصر والمندوب السامى والفساد. . . . إلخ.

إن الغطرسة الاستعمارية التى أبدتها إنجلترا وفرنسا بتوجيه الإنذار لمصر وإسرائيل، والحقيقة أنه لمصر فقط، كانت المفجر لطاقات الشعب المصرى بأكمله، حكومةً وشعبًا وجيشًا، رغم التفوق المعادى والظروف السياسية والاقتصادية الحرجة.

واعتلى جمال عبد الناصر منبر الأزهر الشريف، وأعلن رفضه للإنذار واستعداده للقتال للدفاع عن مصر حتى آخر طلقة وآخر رجل، وانطلقت الحناجر تؤيد الزعيم، واهتزت مصر كلها تحت هدير الجماهير، وهى تهتف : « سنحارب، سنحارب ».

معركة «أبوعجيلة» (الخريطة رقم ٩) :

على الاتجاه الأوسط بسيناء كانت القوات الإسرائيلية قد نجحت فى صباح ٣٠ أكتوبر فى الاستيلاء على منطقة القصيمة التى كانت تدافع عنها كتيبة من الحرس الوطنى وسرية حرس حدود، وبعد قتال عنيف ارتدت على أثره القوات المصرية فى اتجاه الغرب، وبنجاح القوات الإسرائيلية بدأت تطور هجومها فى اتجاه «أبوعجيلة» وتصدت لها عناصر اللواء السادس المشاة التى كانت تحتل منطقة أم قطف، وأحدثت بها خسائر كبيرة أجبرتها على إيقاف الهجوم والارتداد؛ لإعادة تنظيم أوضاعها والاستعداد للهجوم مرة أخرى، واستغل اللواء السادس الفرصة، وأعاد تنظيم دفاعاته وتقويتها من هذا الاتجاه، ومرة أخرى حاول العدوالهجوم على «أبوعجيلة» عبر مضيق الضيقة، ومرة ثانية تنجح القوات المصرية فى إيقاف تقدم العدووإجباره على الانسحاب نتيجة الخسائر الكبيرة، وقررت القيادة الإسرائيلية دفع اللواء العاشر المشاة؛ لمهاجمة «أبوعجيلة» من الأمام من اتجاه الشرق، وعبر فعلاً خط الحدود ليلة ٣٠ / ٣١ أكتوبر، حيث تصدت له القوات الساترة فى منطقة طارة أم بسيس على طريق العوجه ـ «أبوعجيلة» وأحدثت به بعض الخسائر، ونجحت فى تعطيله لفترة، ثم انسحبت عبر مكسر الفناجيل إلى مواقعها الرئيسية فى سد الرافعة ومنطقة بير أولاد على.

واستمرت قوات اللواء السادس المشاة على نجاحها الدفاعى والتمسك بمنطقة أم قطف و«أبوعجيلة» طوال يوم ٣٠ أكتوبر، وذلك على الرغم من نجاح عناصر اللواء السابع المدرع الإسرائيلى فى عبور مضيق الضيقة الذى كان قد تم نسفه إلا أن النسف لم يكن كاملاً مما مكن القوات الإسرائيلية من تمهيد الطريق وعبور المضيق خلال الليل، والسيطرة على مدخله الشمالى بصباح يوم ٣١ أكتوبر.

يوم ٣١ أكتوبر:

بدأت القوات الإسرائيلية بصباح يوم ٣١ أكتوبر فى الهجوم على «أبوعجيلة» من اتجاه الشرق باللواء العاشر المشاة، ومن الغرب باللواء السابع المدرع، ومرة أخرى تصمد قوات «أبوعجيلة» فى مواقعها الدفاعية، وتقاتل بمعاونة المدفعية منزلة خسائر كبيرة بقوات الهجوم الذى فشل فى تحقيق نجاح يذكر، وتوقف اللواء المدرع أمام

منطقة «أبوعجيلة» تحت نيران القوات المصرية، وبدأت خسائره فى التزايد مما أدى إلى قيام القيادة الإسرائيلية بتركيز الهجمات الجوية ضد قوات «أبوعجيلة» حتى تمكن اللواء من إعادة تجميع عناصره واحتلال تقاطع الطرق، وارتدت بعض القوات المصرية إلى منطقة سد الروافعة شمال غرب تقاطع «أبوعجيلة».

ثم قامت القيادة الإسرائيلية بدعم اللواء السابع المدرع بكتيبة من اللواء الرابع المشاة الذى نجح فى احتلال القصيمة، وتقدم اللواء تحت ستر المدفعية وبمعاونة هجمات القوات الجوية على الاحتياطيات المصرية المتقدمة من العريش؛ لدعم قوات «أبوعجيلة»، وعند وصول اللواء إلى قرب المواقع المصرية فتحت عليه النيران الكثيفة من منطقة سد الروافعه محدثة به خسائر كبيرة أدت إلى فشل الهجوم، وارتد اللواء غربًا.

ومرة أخرى حاول اللواء الهجوم على الدفاعات المصرية إلا أنها واجهته بنيران أمامية كثيفة أحدثت به خسائر كبيرةً، ومع محاولته التقدم تم تدمير معظم الدبابات الإسرائيلية، ونفدت الذخيرة مما تبقى، واضطرت الأطقم إلى القتال بالأسلحة الشخصية والقنابل اليدوية.

وفى الوقت نفسه كانت ذخيرة القوات المدافعة قد أشرفت على النفاذ، وتم للعدواحتلال منطقة سد الروافعة، ونفذت التعزيزات المصرية القادمة من العريش هجومًا مضادًا؛ لاستعادة الموقع إلا أنه جاء متأخرًا بعد أن استعوضت الدبابات الإسرائيلية، الوقود والذخيرة، ففشل الهجوم المضاد، وارتدت القوات المصرية مرة أخرى إلى العريش.

ومع استمرار ثبات قوات أم قطف قررت القيادة الإسرائيلية مهاجمتها باللواء السابع المدرع واللواء ٣٧ المدرع الإسرائيلى احتياطى المنطقة الجنوبية، وخطط الهجوم ليكون بتنفيذ ضربات متلاقية من ستة اتجاهات فى وقت واحد، ومرة أخرى تصمد قوات اللواء السادس المشاة، وتنجح فى صد الهجمات واحدة تلوالأخرى بل وتنفذ الهجمات المضادة لاستعادة المواقع التى يتم اختراقها أثناء الصد ومنيت القوات الإسرائيلية بخسائر فادحة، وقتل قائد اللواء ٣٧ المدرع الإسرائيلى فى هذا الهجوم على منطقة أم قطف، وانسحبت القوات الإسرائيلية مرة أخرى.

وفى تمام الساعة السابعة من مساء يوم ٣١ أكتوبر بدأ الطيران البريطانى الفرنسى فى قصف القواعد الجوية والمطارات الحربية، وحتى مطار القاهرة، وواصل قصفها طوال الليل مع إسقاط نسبة من القنابل الزمنية؛ لمنع إصلاح الممرات حتى الصباح حيث كرر الضربات الجوية لتدمير الطائرات والمنشآت وممرات الهبوط والإقلاع.

يوم ١ نوفمبر:

كان الموقف فى منطقة أم قطف سيئًا من الناحية الإدارية والقوات الإسرائيلية تحيط بالموقع من كل جانب، والقوات الجوية تواصل قصفها بعنف لتلك القوات الصامدة التى تتمسك بالموقع الدفاعى طوال الفترة الماضية.

وبصدور الأوامر بانسحاب القوات من أم قطف بعد أن نفذت مهمتها فى ستر انسحاب الجيش المصرى من سيناء إلى منطقة القناة، قامت القوات بتدمير وإتلاف الأسلحة الثقيلة، وانسحبت فى اتجاه العريش التى كانت قد سقطت فى اليوم السابق فواصلت القوات الانسحاب غربًا سيراً على الأقدام، حتى وصلت القناة بعد ١٥ يومًا.

وفى الوقت نفسه كانت إسرائيل قد أتمت الإعداد للهجوم الأخير على أم قطف بعد تمهيد نيرانى عنيف بالمدفعية والطيران الإسرائيلى، ودخلت المدرعات الإسرائيلية الموقع المنيع أخيراً، فلم تجد فيه سوى بعض الجرحى والأسرى، وكان ذلك الساعة ١٢٠٠ يوم ٢ نوفمبر.

إن معركة «أبوعجيلة» التى تعتبر علامة من علامات حرب ١٩٥٦، والتى دارت بين حوالى لواء مشاة وأورطه دبابات وبطارية أواثنين مدفعية وبين حوالى ٤ لواءات مدرعة ومشاة إسرائيلية، تدعمها أعداد كبيرة من المدفعية والطائرات، والتى تمكنت فيها القوة المصرية من الصمود ٨٤ ساعة كاملة، نجح خلالها الجيش المصرى فى سحب معظم قواته من الاتجاه الشمالى إلى منطقة القناة، قد عكست الروح الوطنية والقتالية المصرية التى ميزت حرب ١٩٥٦ .

وقد شهد العدوقبل الصديق بأداء قوات «أبوعجيلة» فيقول موشى ديان فى كتابة يوميات معركة سيناء : « إن موقع أم كتاف (أم قطف) وأم شيحان، أوكما يطلق

عليها المصريون خط «أبوعجيلة» هما المنطقة التى حاربت فيهما القوات المصرية بحالة جيدةً جدًا، وحاربت فيهما قواتنا بحاله رديئةً جدًا».

معركة رفـح :

دارت معركة رفح على الاتجاه الشمالى لسيناء فى المدة ٣١ أكتوبر ـ ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، وقد دفعت إسرائيل للهجوم على رفح قوة تقدر بلواء مشاة ولواء مدرع مدعمة بالمدفعية مع تواجد احتياطيات على مستويات مختلفة تقدر بأربعة ألويه مشاة، وكانت القوات المصرية تتكون من اللواء الخامس مشاة، ومعه كتيبة دبابات وكتيبة من حرس حدود فلسطين وحوالى لواء مدفعية ميدان وبعض العناصر الأخرى المضادة للدبابات والمضادة للطائرات، وعناصر حرس الحدود والمهندسين العسكريين.

وتلخصت خطة الدفاع عن رفح فى الآتى :

* تنظيم نطاق إنذار على الحدود الدولية بالاستفادة من حقل الألغام التكتيكى لمراقبة العدووالإنذار بتقدمه، وإدارة القتال التعطيلى لأطوال فترة ممكنة.

* ينظم الدفاع الرئيسى عن منطقة رفح للتمسك بها، ومنع العدومن الاستيلاء عليها سواء من الشرق أوالجنوب.

* الاحتفاظ باحتياطى خفيف الحركة غرب رفح؛ لتنفيذ الهجوم المضاد المحلى والقضاء على أى قوات تتقدم على طريق العوجة ـ رفح وتدمير القوات المسقطة جواً أوالمتسللة بحراً.

وتعتبر خطة الدفاع عن العريش استكمالاً لخطة الدفاع عن المحور الشمالى وتتلخص فى الآتى :

تعمل مجموعة اللواء الرابع المشاة المدعمة كاحتياطى للفرقة الثالثة المشاة المكلفة بالدفاع عن المحور الشمالى والأوسط؛ لتنفيذ المهام الآتية :

obeikandl.com

* شن الهجمات المضادة لاستعادة منطقة رفح أوشن الهجمات على قواعد العدوالتى يهاجم منها رفح ؛ لتخفيف الضغط على قوات رفح .

* منع تقدم العدوفى اتجاه العريش من الشرق أوالجنوب ، والقضاء على قوات الإبرار الجوى والبحرى .

* الدفاع عن منطقة العريش وتأمين منطقة الشيخ زويد بقوة كتيبة مشاة مدعمة على الأقل .

وعلى الجانب الإسرائيلى تلخصت الخطة الهجومية فى الآتى :

* تنفيذ هجوم صامت من جنوب رفح لاختراق حقل الألغام التكتيكى والوصول إلى طريق العوجة – رفح ، وفتح الطريق أمام القوات المدرعة للوصول إلى تقاطع الطرق غرب رفح لخلخلة الدفاعات ، ومنع الاحتياطيات من التدخل فى معركة رفح الرئيسية .

* مهاجمة دفاعات رفح الرئيسية من اتجاه الشرق والاستيلاء عليها ، والوصول إلى تقاطع الطرق التى تمر بها للتقابل مع القوات المدرعة القادمة من اتجاه العوجة .

* الانطلاق إلى العريش ومهاجمتها من الشرق والاستيلاء عليها بالتعاون مع القوات القادمة من اتجاه «أبوعجيلة» التى تهاجم العريش من اتجاه الجنوب .

* تكون القوات الإسرائيلية المدرعة مستعدة للدفع فى أكثر الطرق نجاحًا .

سير القتال فى معركة رفح :

* بعد آخر ضوء يوم ٣١ أكتوبر بدأت القوات الإسرائيلية المكلفة بالهجوم الصامت فى التقدم ، ووصلت إلى حقل الألغام ، وبدأت عناصر المهندسين فى فتح الثغرات ، إلا أن عناصر نطاق الإنذار اكتشفتها وفاجأتها بنيران كثيفة محدثة فيها خسائر كبيرة ، مما اضطر العدوإلى إيقاف الهجوم مؤقتًا وتأجيله ؛ لكى يتم فى توقيت الهجوم الرئيسى على رفح حتى يتم تخفيف الضغط على القوات المهاجمة من الجنوب .

obeikandi.com

* قرر قائد المجموعة ٧٧ عمليات الإسرائيلية تغيير خطة الهجوم بناءً على فشل الهجوم الصامت، فقام بتدعيم قوات الهجوم على رفح بلواء مدرع عدا كتيبة مما أحدث تفوقًا ساحقًا على القوات المدافعة عن رفح والتى كانت مشكلة من كتيبة مشاة مدعمة تدافع على مواجهة تبلغ ٧ كيلومتر للدفاع عن رفح من اتجاه الشرق والجنوب الشرقى.

* وبدأ الهجوم الرئيسى على رفح فى الساعة الثامنة من مساء ٣١ أكتوبر، وهوالوقت الذى بدأت فيه الضربات الجوية الإنجليزية ـ الفرنسية ضد القواعد الجوية والمطارات المصرية. وفى العاشرة مساءً صدر قرار القيادة العامة للقوات المسلحة بتوحيد الجبهة وانسحاب القوات من سيناء؛ لتنظيم الدفاع عن قناة السويس، وبلغت هذه الأوامر لقوات رفح والعريش التى كانت مشتبكة فعلاً مع العدو، فطلبت قادتها التصديق بتأجيل الانسحاب، ووافقت القيادة فى القاهرة على ذلك.

* وبدأت القوات الإسرائيلية هجومها على رفح بتمهيد نيرانى مركز بواسطة المدفعية والقوات البحرية والجوية، وبدأ الهجوم الرئيسى على قوات رفح التى كانت قد أعادت تنظيم دفاعاتها بالقوات المحدودة المتيسرة مما ترتب عليه تخفيف القوات فى الجنوب، وبالتالى تمكنت القوات الإسرائيلية التى فشلت فى الهجوم الصامت من فتح الثغرات، واندفعت إلى داخل حقل الألغام، ونجحت فى الوصول إلى تقاطع الطرق جنوب غرب رفح، واستولت عليه فى صباح يوم ١ نوفمبر.

* ومع بدء الهجوم الرئيسى، ووضوح عدم قدرة القوات المصرية المدافعة على التمسك بمواقعها صدر أمر الانسحاب إلى العريش، وبدأت القوات فى التجمع للانسحاب تحت ستر كتيبة من حرس حدود فلسطين التى نجحت فى التمسك بمواقعها، وفى الوقت نفسه نجحت القوات فى صد الهجوم لفترة، وأحدثت خسائر كبيرة فى القوات المهاجمة، ثم تخلصت من المعركة، وبدأت الانسحاب إلى العريش تحت نيران القوات الجوية والمدفعية الإسرائيلية، ووصلت طلائع هذه القوات إلى العريش الساعه ٩٣٠ يوم ١ نوفمبر.

* إن معركة رفح من المعارك التى أبلت فيها القوات المصرية المحدودة بلاءً حسنًا فى مواجهة قوة متفوقة من المشاة والمدرعات التى تعاونها المدفعية والقوات البحرية

والقوات الجوية، ولولا قرار الانسحاب من سيناء لتجنب الفخ الاستعمارى، لكان لهذه القوات وباقى اللواء الخامس المشاة والفرقة الثالثة المشاة فى العريش كلمتها الحاسمة فى المعركة، مستمدة قوتها من إيمانها الوطنى والدينى وروح التحدى والصمود التى ميزت القوات المسلحة المصرية والشعب المصرى فى هذه الحرب.

معركة بورسعيد :

إن معركة بور سعيد هى فى الحقيقة ملحمة وطنية امتزجت فيها كل القوى على أرض مدينة بورسعيد من شعب وشرطة وجيش، واشترك النساء والرجال والأطفال فى المقاومة والقتال دفاعًا عن حريتهم وكرامتهم ووطنهم، ولا يتسع المجال هنا لذكر ما تم من بطولات وتضحيات فى هذه الملحمة، ولكننا سنلخصها من وجهة نظر الأحداث فيما يلى :

* اعتبارا من يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ وبعد عدة أيام من القصف الجوى والبحرى على المدينة تم إسقاط قوات المظلات البريطانية فى مطار الجميل، وقوات المظلات الفرنسية فى منطقة بور فؤاد شرق بورسعيد ومنطقة الرسوة جنوب بور سعيد للاستيلاء على محطة المياه العذبة للمدينة.

* وتبع ذلك الإنزال البحرى على بورسعيد وبور فؤاد؛ لتكوين رأس شاطئ قوى تنطلق منه قوات المظلات إلى اتجاه القنطرة شرق القناة والإسماعيلية غرب القناة، ثم تواصل الانطلاق إلى السويس؛ لاستكمال السيطرة على القناة.

* ولكن المهمة لم تكن سهلة سواءً داخل المدينة أوخارج المدينة؛ فقد تلاحمت القوات المسلحة مع أفراد الشعب فى إنزال الخسائر تلوالأخرى بالقوات الغازية، كما صمدت القوات جنوب بورسعيد، وكان أقصى ما استطاعت أن تصل إلية قوات بريطانيا العظمى هومنطقة الكاب جنوب بورسعيد وشمال القنطرة بنحو ٣٠ كيلومتر.

* ورغم استيلاء قوات الغزوعلى بورسعيد وبورفؤاد إلا أن المقاومة الشعبية ظلت تقاتل فى مواجهة قوات الاحتلال حتى انسحبت فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦.

وفى سيناء : توقف القتال فى منتصف ليله ٧ نوفمبر، وكانت إسرائيل قد احتلت كل شبه جزيرة سيناء، ولم تنسحب منها إلا فى مارس ١٩٥٧، وحلت قوات الطوارئ الدولية محلها فى شرم الشيخ وعلى طول الحدود الدولية حتى رفح وفى قطاع غزة.

ولاشك أن الموقف الأمريكى والإنذار السوفييتى لقوات الغزوبالتوقف عن القتال كان له أثر كبير فى إيقاف هذه الحملة الاستعمارية الحاقدة، والتى كانت آخر الحملات الاستعمارية التى قامت بها بريطانيا أوفرنسا فى التاريخ.

الخلاصة :

لقد أبرزت حرب العدوان الثلاثى على مصر عدة مسائل مهمة نلخصها فيما يلى :

* فشلت بريطانيا وفرنسا فى تحقيق أهدافهما من الغزو؛ لسببين أساسيين : الأول كان عدم التقدير الجيد لروح المقاتل المصرى قيادةً وشعبًا وجيشًا، والسبب الثانى هوعدم التنسيق المسبق مع أمريكا التى أعلنت غضبها من الحملة وأنذرت الدولتين وهوما فعلته روسيا أيضًا، واضطرت الدولتان إلى الانسحاب من بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦.

* فشلت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى تدمير الجيش المصرى الذى استطاعت القيادة المصرية إنقاذه من الفخ بقرار تخفيف القوات فى سيناء، ثم بقرار الانسحاب منها تحت ستر قوات قاتلت كأفضل ما يقاتل المحترفون دفاعًا وهجومًا ثم انسحابًا بعد تنفيذ المهام، لقد كان قرار الانسحاب من سيناء عبقريًا فى ظل الظروف التى أحاطت بالجيش فى تلك الحرب غير المتكافئة.

* نجحت إسرائيل فى تأمين حرية الملاحة فى خليج العقبة عبر مضيق ثيران إلى ميناء إيلات الإسرائيلى، وذلك بعد أن تمركزت قوات طوارئ دولية فى شرم الشيخ.

obeikandl.com

* كان لحرب ١٩٥٦ أثر كبير فى ارتباط الجيش والشعب المصريين بالقيادة السياسية والعسكرية التى قادت تلك الحرب التى خرجت منها مصر منتصرة سياسيًا رغم الهزيمة المحدودة عسكريًا، وصفة المحدودة هنا؛ لكون التخلى عن الأرض قد تم فى مقابل المحافظة على قوة الجيش ومنع تدميره، وهوقرار مشروع سياسيًا وعسكريًا على المستويات المختلفة.

* خرجت مصر وقيادتها من حرب ١٩٥٦ أقوى مما دخلتها، وزاد الارتباط بينها وبين الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية ـ آنذاك ـ فى التسليح والتدريب، بل تخطى ذلك إلى القناعة السياسية بالأسلوب الاشتراكى كنظام اقتصادى.

* وفى رأيى الشخصى أن المعارك التى تمت فى حرب ١٩٥٦ كانت هى المرة الأخيرة التى تستخدم فيها أساليب القتال الغربية بمسمياتها المعروفة كالقوة الساترة وتغيير مواجهة الدفاع، ومهاجمة قواعد الهجوم، والقتال التعطيلى لفترة محددة والارتداد والتخلى عن الأرض فى مقابل المحافظة على القوات أوكسب الوقت.. الخ، تلك الأساليب التى عندما امتزجت مع الروح الوطنية والدينية والقتالية للجندى المصرى الذى أمسك فى يده بعض الأسلحة الحديثة من الشحنات الأولى من صفقة الأسلحة التشيكية، كانت نتائج القتال كما شاهدناها فى صدر الحيطان، و«أبوعجيلة» ورفح، وبورسعيد.

*** أبرزت تلك الحرب مرة أخرى تأثير القرار السياسى على القرار العسكرى حيث كان تأخير عبور اللواء الثانى المشاة إلى شرق القناة؛ لعدم تعطيل الملاحة أثناء الليل سببًا فى تعرضه لغارات الطيران الفرنسى المعاون للقوات الإسرائيلية، وبالتالى فشل اللواء فى استغلال نجاح إحدى كتائبه فى صد العد وفى صدر الحيطان مساء اليوم السابق.**

واعتباراً من عام ١٩٥٩ وبعد بدء عودة المبعوثين إلى الاتحاد السوفييتى وترجمة المراجع والعقائد الشرقية، بدأ كل ذلك فى التغير، وبدأ الطريق إلى الجولة التالية.

* * *

obeikandi.com